﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣﴾ [يس: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من ذِكْرِ البعثِ إلى ذِكْرِ دليلِه من عالَمِ المُشاهَدةِ

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ مَصيرَ البشَريّةِ يومَ القيامةِ من الإحضارِ للحسابِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ وقد أنكَرَ المُشرِكونَ البعثَ والجزاءَ بعدَ المماتِ؛ ناسَبَ الانتقالُ إلى إثباتِ دليلِ البعثِ ممّا يُشاهِدُهُ النّاسُ فقالَ تعالَى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾؛ فهو انتقالٌ من ذِكْرِ البعثِ في عالَمِ الغيبِ إلى ذكرِ دليلِه من عالَمِ الشَّهادةِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمَيۡتَةُ﴾: (موت) أصلٌ يدلُّ على ذَهابِ القوَّةِ من الشَّيءِ[1]، والميتُ: بتَخْفيفِ الياءِ وتَشْديدِها: هو الَّذي فارَقَ الحَياةَ، ويَسْتَوي فيه الذَّكَرُ والأُنْثَى، يُقالُ: ماتَ يَموتُ مَوْتًا، فهو مَيِّتٌ، وجَمعُه: أمواتٌ، ومَوْتَى، ومَيِّتون، ومَيْتون، ويُطلَقُ على مَن في حُكْمِ الميِّتِ وليس به[2]، والمُرادُ بموتِ الأرضِ: جفافُها ويُبْسُها، لخُلُوِّها من حياةِ النَّباتِ فيها[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أعظَمُ الأدلّةِ ما ملأ العيونَ وأشبعَ البطونَ

يَذكُرُ الحقُّ ﷻ الأدلَّةَ الدّالَّةَ على وحدانيَّتِه وقدرتِه؛ فيقولُ: وعَلامةٌ عَظيمةٌ لكفّارِ قريشٍ دالَّةٌ على وحدانيَّتِنا وكَمالِ قُدرتِنا على بَعثِ مَن مات وإحيائِه وإعادتِه بعدَ فَنائِه، كهيئتِه قبلَ مماتِه،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (موت).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، وابن منظور، لسان العرب: (موت).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 13.

هي إحياؤُنا الأرضَ الهامدةَ الَّتي لا نباتَ فيها بإنزالِنا الماءَ عليها، فتَهتزُّ وتربو وتُنبِتُ نباتًا مُختلِفًا ألوانُهُ وأشكالُهُ، وتُخرِجُ حَبًّا هو قوتٌ وغذاءٌ لكُم ولأنعامِكُم، وبهِ قِوامُ حياتِكُم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ عطفِ القصّةِ على القصّةِ:

أرسَخُ الكلامِ ما بُيِّنَ بعدَ إبهامٍ وفُصِّلَ بعدَ إجمالٍ

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ على قولِه تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ وهو من بابِ عَطفِ القصَّةِ على القصَّةِ[2]؛ فَإِنَّهُ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا لِحالِ إعْراضِهِمْ وتَكْذيبِهِم الرَّسولَ ﷺ وما تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ تِلْكَ الحالُ مِنْ إشْراكٍ وإنْكارٍ لِلْبَعْثِ وأذًى له ﷺ وعاقِبَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ، ثُمَّ أعقَبَ ذَلِك بالتّفصيلِ لإبْطالِ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الاعْتِقاداتُ مِنْ إنْكارِ البَعْثِ ومِنَ الإشْراكِ باللَّهِ[3].

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿وَءَايَةٌ﴾ وتنكيرِه:

تفخيمُ دلائلِ الصِّدقِ لِما تَحويهِ مِن براهينِ الحقِّ

استعمَلَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿وَءَايَةٌ﴾ دونَ مُرادِفاتِها، لِلإشعارِ بأنَّ إحياءَ الأرضِ المَيتةِ وإخراجَ الحَبِّ لتحقيقِ غرَضِ استمرارِ النّوعِ الإنسانيِّ علامةٌ عظيمةٌ وآيةٌ ظاهرةٌ لأصحابِ العقولِ، فهي دليلٌ لا يَخفَى على مَنْ رعَى ذِهنَه بحُسنِ نظَرٍ، ونُكِّرتْ هذهِ اللّفظةُ للتّفخيمِ والتَّعظيمِ، فهي آيةٌ وأيُّ آيةٍ، فهي ليستْ مثلَ غيرِها من الآياتِ الظّاهرةِ في فخامتِها ووضوحِها، إذ هي آيةٌ باهرةٌ عظيمةٌ دالَّةٌ على صحَّةِ البعثِ والتّوحيدِ[4].

---

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 453، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 25، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 23/ 7.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 272.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 12.

(4) أبو السّعود إرشاد العقل السّليم: 7/ 166، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 127.

نكتةُ تقديمِ ﴿وَءَايَةٌ﴾ بينَ الخبريَّة والابتداءِ:

الآيـةُ المغفولُ عنها هي موضعُ العبرةِ وموطنُ المِنّةِ

لفظُ ﴿وَءَايَةٌ﴾ إمّا أن يكونَ خبرًا مُقدَّمًا على المبتدأ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ﴾، وفائدةُ التَّقديمِ الاهتمامُ بالمُقدَّمِ؛ للإشعارِ بعِظَمِ هذهِ الآيةِ وكونِها وحدَها تكفي في الاستِدلالِ على توحيدِ اللّهِ وعلى الحَشرِ بعدَ الموتِ، فالمَقصودُ إفادةُ أنَّ الآيةَ هي في كَونِ الأرضِ أُحييَتْ بعدَ موتٍ ممّا يُشاهِدُهُ النّاسُ، فهُم يَعرِفون الأرضَ الميتةَ الَّتي أحياها اللّهُ بالغيثِ والنّباتِ، لكنَّهم لا يُدرِكونَ كونَها آيةً[1]، وإمّا أن يكونَ لفظُ ﴿وَءَايَةٌ﴾ مُبْتَدَأً لِكَوْنِها قَدْ تَخَصَّصَتْ بالصِّفَةِ ﴿لَّهُمُ﴾، وما بَعْدَها ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ هو الخَبَر، أو جُملةُ ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ كلُّها هي الخَبر، وسببُ هذا التّوجيهِ هو أنَّ الأذهانَ متوجِّهةٌ إلى أنَّ آيةً دالَّةً على صحّةِ البعثِ مُتحقِّقَةٌ، أو على التّوحيدِ مُتحقِّقَةٌ، لكنَّ المُخاطَبينَ لا يعلَمونَ بخُصوصِها؛ أي الآيةُ هي الأرضُ المَوصوفةُ بالموتِ ثُمَّ بالإحياءِ[2].

دلالةُ التَّهكُّمِ من معنى اللّامِ في ﴿لَّهُمُ﴾:

اللّامُ الدّاخلةُ على ضميرِ الجَمعِ ﴿لَّهُمُ﴾ للاختصاصِ؛ أيْ: هي آيةٌ لهم ليَستدِلّوا بها على البعثِ لا للعَجْماواتِ والبهائِمِ، فإنَّها تُؤمِنُ باللّهِ وتُقِرُّ لهُ بالتّسبيحِ، ففيها تهكُّمٌ.

تعيينُ مَرجعِ الضّميرِ في ﴿لَّهُمُ﴾:

الاستـدلالُ بإحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها على الحَشرِ لعُمومِ العبادِ

الضَّميرُ في ﴿لَّهُمُ﴾ عائدٌ إلى كُفّارِ قُريشٍ ومَن يَجري مَجراهُم في إنكارِ البَعثِ والحَشرِ[3]، ويَحتَمِلُ أن يعودَ على العبادِ جميعًا كما ذَكَرَه القونويُّ[4] بدَلالةِ العمومِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 34، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 166.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 267، والعُكبريّ، التبيان: 2/ 1082، والسَّمين، الدُّرُّ المَصُون: 9/ 265، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 422.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 541، وابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 453.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 128.

لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، ولِأنَّ الإنعامَ والِانتفاعَ بإحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها والاستدلالَ بهِ على الحَشرِ والتّوحيدِ هو لِعُمومِ العبادِ، ويَدخُلُ في عُمومِ الضّميرِ المُشركونَ ومَنْ يُنكِرُ الحَشْرَ دُخولًا أوّليًّا، بدلالةِ عمومِ السّياقِ.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾:

(أل) في لفظِ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ عهديَّة؛ فهي الأرضُ التي يَسكنونَها ويأكُلونَ مِنها، فظُهورُ كونِها آيةً للمُخاطَبينَ أوضَحُ، وتَحتَمِلُ أن تكونَ للجِنسِ، بمَعنى جِنسِ الأرضِ، لإفادةِ العمومِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في الآيةِ:

شَبَّهَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ بامرأةٍ وحذفَ المُشبَّه به، ورَمَزَ له بأحَدِ لوازِمِهِ وهو الموتُ، فإنَّ الأرضَ لا تَموتُ على سبيلِ الاستعارةِ المَكنيّةِ، كما أنَّه شبّه خُمودَ الأرضِ وعدَمَ إنباتِها بمَوتِ الإنسانِ، على سبيلِ الاستعارةِ التصريحيّةِ، لتشخيصِ المَشهَدِ المَرئيِّ، وليَكونَ دليلًا وتوطِئةً لذِكرِ الإحياءِ المُستدَلِّ بهِ على البعثِ.

أبدعُ الاستعاراتِ ما ازدَحَمتْ فيها صورُ البيانِ

بلاغةُ الفصلِ في ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ وتنوّعُ أوجهِهِ:

جاءتْ جُملةُ ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ مفصولةً لاحتمالِها الحالَ مِنَ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾؛ وهيَ حالٌ مُقَيَّدَةٌ لِما يدلُّ عليهِ الخَبَر من معنى الآيةِ؛ أي: الأرضُ المَيتةُ حالَ إحيائِنا لها آيةٌ لهُم، وتَحتَمِلُ أن تكونَ خبرًا للأرضِ، وجملةُ ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ خبرًا لـ﴿وَءَايَةٌ﴾، فيكونَ مَجموعُ الأرضِ المَيتةِ وإحيائِها وما عُطِفَ على ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ آيةً لهم، ليُفيدَ زيادةً في التّنويعِ، لمُناسَبةِ التّفخيمِ، وتَحتَمِلُ كذلك أن تكونَ بيانًا وتفسيرًا لِجُمْلَةِ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، لبَيانِ موضعِ الآيةِ فيها[1]، وتَحتَمِلُ أن تكونَ بَدَلَ اشْتِمالٍ مِنْ جُمْلَةِ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ﴾ فيكونَ مَجيءُ

إحياءُ الأرضِ مَناطُ الاستدلالِ عَلَى إمْكانِ البَعْثِ

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 14.

البَدَلِ مع المُبدَلِ منه لزيادةِ الإيضاحِ والبيانِ لموضعِ الآيةِ، كما تَحتَمِلُ أن تكونَ اسْتِئْنافًا بَيانيًّا، كَأَنَّ سائِلًا سَأَلَ: كَيْفَ كانَتِ الأَرْضُ المَيتَةُ آيةً، فقال: ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾؛ أيْ: عن طريقِ إحيائِنا لها[1].

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾:

إحياءُ الأرضِ نموُّ نباتِها وانتشارُ خيرِها

لفظُ الإحياءِ صفةٌ تَقتضي الحِسَّ والنموَّ والحركةَ، والمُرادُ أن تكونَ الأرضُ طريَّةً غضَّةً فيها قوّةُ نموِّ النّباتِ، فإحياؤُها بالغيثِ وخُروجِ النَّباتِ مِنْها مِنَ العُشْبِ والكَلَأِ والزَّرْعِ، ولمّا كان موتُ الأرضِ بمعنى زوالِ القوّةِ النّاميةِ مُقدَّمًا والحياةُ طارئةً عليها، عبَّرَ بالميتةِ أوّلًا ثمَّ بالإحياءِ ثانيًا[2]، ولفظُ الإحياءِ استعارةٌ، حيثُ شبّهَ إنماءَ النّباتِ وإخراجَه من الأرضِ بالإحياءِ، ثمَّ صُرِّحَ بالمُشبَّه به على سبيلِ الاستعارةِ التّصريحيّةِ التّبعيّةِ، وبلاغةُ الاستعارةِ في التّصريحِ بالإحياءِ الَّذي هو ظاهرةُ البعثِ بعدَ الموتِ عندَ المُشركينَ.

نكتةُ الإسنادِ إلى نونِ العَظَمةِ ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾:

التّنبيهُ على عظيمِ قدرةِ اللهِ تعالى في إحياءِ الأرضِ

أُسنِدَ الفعلُ ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ إلى نونِ العَظَمَةِ للإشعارِ بأنَّ إحياءَ الأرضِ المَيْتَةِ لا يَقدرُ عليه إلّا اللّهُ الواحدُ الأحدُ، وأنَّ إحياءَها بمُقتضَى عظمتِه وفضلِه سبحانه، ومِثلُه إسنادُ الفعلِ في قولِه: ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾؛ فنبَّه تعالى على عظيمِ القدرةِ في الإحياءِ والإخراجِ وعلى عمومِ النّفعِ بهما بمَظهرِ العَظَمَةِ[3].

نكتةُ إسنادِ الإحياءِ إلى اللهِ سبحانه ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾:

الاستدلالُ على قدرةِ الإحياءِ بعدَ موتِ الأحياءِ

أُسنِدَ فعلُ الإحياءِ إلى نونِ العَظَمَةِ في قولِه تعالى: ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾، ولم يُسنِدْ إماتةَ الأرضِ إليه سبحانه؛ فجاءت وصفًا للأرضِ، مع أنَّ الأمرَ كلَّه للّهِ تعالى، وذلك للإشعارِ بأنَّ موتَ الأرضِ أمرٌ مُسلَّمٌ

(1) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 267، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 64، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 12، والهَرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 17/ 24.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 127، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 13.

(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 123.

به عندَ المُنكِرينَ كمَوتِ البَشَرِ، وقد كان إنكارُ المشركين لقضيّةِ إحياءِ الموتى يومَ البعثِ، فجاءَ الإسنادُ لفعلِ الإحياءِ باعتبارِه موضعَ الإنكارِ، ففيه استدلالٌ على أنَّ الذي أحياها في الدُّنيا هو القادرُ على إحياءِ الموتى يومَ القيامةِ.

سببُ إيثارِ التّعبيرِ بالماضي في الآية:

جاء التَّعبيرُ بصيغةِ الماضي في الفعلَيْن ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ و﴿وَأَخْرَجْنَا﴾ للتّغليبِ، فغَلّبَ الماضيَ على المضارعِ لأنَّ المقامَ مقامُ استدلالٍ، وإنَّما يكونُ فيما قد وقَعَ وظَهرَ وتبيَّنَ للعقولِ، ويُحتَمَلُ أن يكونَ التّعبيرُ بصيغةِ الماضي لتنزيلِ مُنتَظَرِ الوقوعِ مَنزِلةَ الواقِعِ[1]، تعميمًا للدّليلِ وللمُبالَغةِ فيه وفي الإنعام.

الأمـرُ المُحقَّقُ ليسَ كالمُرتَقَبِ المُنتَظَرِ

بديعُ الطِّباقِ في ﴿ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾:

بينَ لفظَي ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾ و﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ طباقٌ، فإنَّ الموتَ يُقابِلُ الإحياءَ، ونكتتُهُ إثارةُ المُتلقّي للمقارنةِ بين الحالتيْن: حالةِ الأرضِ الميتةِ، وحالةِ إحياءِ اللّهِ تعالى لها.

بلاغةُ التَّرتيبِ بين الجُمَلِ المُتعاطفةِ:

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ للعطفِ المُفيدِ للتّشريكِ في الحُكمِ، بمعنى أنَّ تمامَ الآيةِ ووضوحَها هو في إحياءِ اللّهِ الأرضَ المَيْتَةَ وإخراجِه سبحانه منها حَبًّا، وجاءَ ترتيبُ العطفِ بتقديمِ إحياءِ الأرضِ على الإخراجِ للإشعارِ بأنَّ المعطوفَ عليه وهو إحياءُ الأرضِ الميتةِ كان سببًا في المعطوفِ وهو إخراجُ الحَبِّ، ولمّا كان المعطوفُ - وهو إخراجُ الحَبِّ - سببًا في أكلِ النّاسِ وبقاءِ معيشتِهم ودوامِها كان المعطوفُ عليه هو السّببَ الأوّلَ لأكلِ النّاسِ وبقائِهم، ففيه تعظيمٌ لشأنِ إحياءِ الأرضِ الذي به كانتِ الحياةُ.

تَسلسلُ الاستدلالِ طريقُ الإيصالِ للحقائقِ الكبرى والمعتقداتِ العُظمى

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 129.

نكتةُ استعمالِ (مِنْ) في تقريبِ المعاني:

(مِنْ) في قولِه تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ ابتدائيَّةٌ[1]؛ أي: ابتَدأ إخراجُ الحَبِّ من الأرضِ، ففيها تقريبٌ لصورةِ إحياءِ الموتى، فكما أخرجَ الحَبَّ فهو يُخرجُ الموتى.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنْهَا﴾:

قُدِّمَ ذِكْرُ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنْهَا﴾ على المفعولِ به في قولِه: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾، فلَمْ يَقُلْ: (وأخرجْنا حَبًّا منها)، لتَعظيمِ شأنِ المُقدَّمِ وهو إخراجُه تعالى الحَبَّ من الأرضِ الَّتي أحياها.

نكتةُ إفرادِ ﴿حَبًّا﴾ وتنكيرِه:

تقريبُ الصّورةِ الغيبيّةِ اعتناءٌ بخطابِ العقلاءِ

أُفرِد لفظُ ﴿حَبًّا﴾ للدَّلالةِ على جنسِ الحَبِّ، والدّالُّ على الجنسِ مُشعرٌ بالاختلافِ[2]، فكما أنَّ النّاس مُختلفون في صفاتِهم وأعمالِهم، فكذلك الحَبُّ، ولبيانِ أنَّ إخراجَ النّاسِ من قُبورِها سيأتي مرَّةً واحدةً، فأُفرِدَ للتَّنبيهِ على الصّورةِ الغيبيّةِ المُرادِ الاستدلالُ عليها، كما جاء لفظُ ﴿حَبًّا﴾ نكرةً في سياقِ الاستدلالِ والامتنانِ لإفادةِ عمومِ الجنسِ والنَّوعِ[3]، والمعنى: أخرجْنا منها أنواعَ جنسِ الحَبِّ من الأطعمةِ، كالحِنْطَةِ والشَّعيرِ والأُرْزِّ والأقواتِ[4]، كما يُفيدُ التّنكيرُ تفخيمَ هذه النّعمةِ لعمومِ الانتفاعِ منها.

توجيهُ تخصيصِ الحَبِّ بالذِّكْرِ:

الحَبُّ يُشبِهُ عَجْبَ الذَّنَبِ في الحجمِ والنُّموِّ

ذُكِرَ إخراجُ الحَبِّ دونَ غيرِه من سائرِ الأصنافِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾، للتّنبيهِ على موضوعِ السّياقِ، فإنَّ الحَبَّ بَذرةٌ صغيرةٌ تُشبِهُ عَجْبَ الذَّنَبِ الذي يتشكّلُ منه الإنسانُ يومَ البعثِ، فشابَهَ الحَبُّ عَجْبَ الذّنَبِ من حيثُ الحجمُ والنّموُّ، كما جاءَ عن أبي هريرةَ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 129.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 267.
(3) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 239، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 8.
(4) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 12/ 356، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 267.

ﷺ أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قالَ: «إنَّ في الإنسانِ عَظْمًا لا تأكلُه الأرضُ أبدًا، فيهِ يُركَّبُ يومَ القيامةِ، قالوا: أيُّ عَظمٍ هو؟ قال: عَجْبُ الذَّنَبِ»[1].

بديعُ الإدماجِ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾:

الامتنانُ في سياقِ الاستدلالِ يُرسِّخ البيانَ

في قولِه تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ إدماجٌ، وبيانُه أنَّ إخراجَ الحَبِّ مِن الأرضِ هو إخراجُه من نباتِها، فالحَبُّ جاءَ من الأرضِ بواسطةٍ، ففيه إدماجٌ لتكثيرِ الامتنانِ في ضمنِ الاستدلالِ، ولذلك فرَّعَ عليه ظهورَ المنَّةِ في قولِه تعالى: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[2].

نوعُ الفاءِ في ﴿فَمِنْهُ﴾ ودلالتُها:

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ للتّرتيبِ والسّببيَّةِ؛ بمعنى أنَّ إخراجَ الحَبِّ مِن الأرضِ سببٌ في أكلِ النّاسِ منه[3]، أو للتّفريعِ[4]، فإنَّ الأكلَ فرعُ الإخراجِ.

نوعُ (مِنْ) في ﴿فَمِنْهُ﴾ ودلالتُها:

الظّاهرُ أنَّ (مِن) للتّبعيضِ وتَحتَمِلُ الابتداءَ والسَّببيَّةَ

(مِنْ) في قولِه: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ للتّبعيضِ، بمعنى أنَّ النّاسَ تأكلُ بعضَ الحَبِّ، وبعضُه تأكلُهُ الأنعامُ، وبعضُهُ يبقى في الأرضِ، ولو قيلَ: (فتأكلونه) لأفادَ أنَّ النّاسَ تأكلُ جميعَ الحَبِّ المُخرَجِ، والأمرُ ليس كذلك، ويُحتَمَلُ أن تكونَ (مِنْ) ابتدائيَّةً، ليكونَ الأكلُ منه عامًّا للأكلِ بنفسِه وبما يُتّخذُ منه من الخُبزِ وغيرِه[5]، كما يُحتمَلُ أن تكونَ (مِنْ) سببيَّة والضّميرُ في ﴿فَمِنْهُ﴾ عائدٌ إلى المصدرِ المَفهومِ من الفعلِ ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾؛ والتّقديرُ: (بِسببِ هذا الإخراجِ يأكلونَ)[6].

(1) أخرجه البخاريّ، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (4814)، (4935)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2955).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 13.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 8.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 13.
(5) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 239، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 129، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 8.
(6) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 142، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 348.

تعيينُ مَرجعِ الضّميرِ في ﴿فَمِنْهُ﴾:

يَرجِعُ الضّميرُ في ﴿فَمِنْهُ﴾ إلى ﴿حَبًّا﴾، وتكونُ (مِنْ) تبعيضيّةً أو ابتدائيَّةً، ويُحتَملُ أنْ يَرجِعَ إلى ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾ و(مِنْ) سببيّةٌ؛ أيْ: بسببِ إخراجِنا الحَبَّ يأكلونَ.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿فَمِنْهُ﴾:

الحبُّ أصلُ قوتِ البشريّةِ في ذاتِهِ ومآلِهِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ على الفعلِ في قولِه تعالى: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ دونَ أن يقولَ: (فيأكلونَ منه)، للاهتمامِ بالمُقدَّمِ والعنايةِ به، وفيهِ من إيهامِ الحَصْرِ حتَّى كأنَّه لا مأكولَ غيرُه؛ لأنَّ الحَبَّ هو الشّيءُ الذي يتَعلَّقُ به مُعظمُ ما يُؤكَلُ ويُعاشُ به، ويقومُ بالارتزاقِ منه صَلاحُ الإنسِ، وإذا قلَّ جاءَ القَحطُ ووقَعَ الضُّرُّ، وإذا فُقِدَ جاء الهلاكُ ونزَلَ البلاءُ[1]، فالقَصرُ صَحيحٌ باعتبارِ الجُملة، إذ يَعيشُ عليه الإنسانُ والأنعامُ، والإنسانُ يعتَمِدُ في مَعيشتِهِ على النَّباتِ والأنعامِ، وهو أصلٌ يُؤكَلُ لحظةَ خُروجِهِ مِن الأرضِ، ويُحفَظُ ليُقتاتَ عليهِ، كما أنَّ في تقديمِ الجارِّ والمجرورِ رعايةً للفاصلةِ.

براعةُ الإيماءِ بمُفرَدةِ الأكلِ:

العقلُ المُنكِرُ للإحياءِ بعدَ المَوتِ عليه أن يَخشَى مِن منعِ إحياءِ الحَبِّ بعدَ الموتِ

لمّا كان المقصودُ في الآيةِ هو إثباتَ البعثِ وتحقيقَ التّوحيدِ للمُشركينَ؛ كان لا بدَّ في الدّليلِ مِن أن يكونَ حِسّيًّا حقيقيًّا ظاهرًا، فعبَّرَ بـ﴿يَأْكُلُونَ﴾ للإيذانِ بأنَّه حبٌّ حقيقةً يَعلمونَ ذلكَ عِلمَ اليقينِ وعينَ اليقينِ وحقَّ اليقينِ، لا يَقدِرونَ على أنْ يدَّعوا أنَّ ذلك خيالٌ سِحريٌّ بوجهٍ[2]، مع الإشعارِ بحاجتِهم وضَعفِهم المُتجدِّدِ، ففيه تلميحٌ ودعوةٌ لتحريكِ القُلوبِ للخوفِ من إيقافِ الأرضِ عن إخراجِ نباتِها، فإنَّ مَن يُنكِرُ البعثَ بعدَ الموت، عليهِ أن يَقبَلَ فِكرةَ إيقافِ حياةِ الحَبِّ بعدَ الموتِ.

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 15، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 267، والشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 239، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 129.

(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 124.

نكتةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَأۡكُلُونَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِه: ﴿يَأۡكُلُونَ﴾؛ لأنَّ الأكلَ بالنّسبةِ للإخراجِ مُستقبَلٌ، فهو امتنانٌ مِن اللّهِ تعالى على عبادِه بأنَّ أكْلَهم مُستمِرٌّ مُتجدِّدٌ، وبهِ فعلَيهِم أنْ يشكُروا بتجديدِ الإيمانِ.

بلاغةُ الخبرِ في الاستدلالِ على البعثِ:

لمّا قالَ تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ كان فيه دلالةٌ ظاهرةٌ على البعثُ بعدَ الموتِ، فإحياءُ المَوتى ليس بأبعدَ من إحياءِ الأرضِ المَيْتةِ فيه، وفي قولِه: ﴿وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾ دلالةُ الوحدانيَّةِ للّهِ تعالى؛ لأنَّه أخرَجَ ما ذَكَر من النَّباتِ والجنّاتِ والأعنابِ والنخيلِ إلى آخرِ ما ذَكَر من الأرضِ لمنافعَ مِنَ السّماءِ تتّصِلُ بالأرضِ، فدلَّ اتِّصالُ منافعِ السَّماءِ بمَنافعِ الأرضِ معَ بُعْدِ ما بينَهما على أنَّ مُنْشِئَهما ومدبِّرَهما واحدٌ، إذْ لو كانا فِعلَ آلهةٍ متعدِّدةٍ لكانَ فيه تدافُعٌ وتمانُعٌ مِن فِعلِ ذَوي العَدَدِ من التّغالُبِ والتّدافُعِ والتّمانُعِ في العُرفِ، بأنْ يَمنعَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه في إخراجِ الحَبِّ وجَعْلِ الجنّاتِ وغيرِها مِن الآياتِ[1].

اتِّصالُ منافعِ السّماءِ بمنافعِ الأرضِ معَ بُعْدِ ما بينَهما يدلُّ على أنَّ مُنْشِئَهُما واحدٌ

(1) الماتُريديّ، تأويلات أهل السُّنّة: 8/ 518.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»